دلالات الألوان في رواية "الثلج الأسود" لمحمد أزوقه

The connotations of colors in Mohammad azzouqa's novel "Black Ice"

سليـمان سالم الفرعين*

DOI: 10.15849/ZJJHSS.211130.01

الملخص

هدف البحث دراسة اللون في رواية "الثلج الأسود"، وبيان أبعاده الجمالية والرمزية، وقدرته على حمل الدلالات المتنوعة، وتأثيره في نفسيّة الشخصية، وقد أظهر البحث عددًا من الألوان التي ساهمت في بناء النص الروائي، منها: الأحمر والأسود والأبيض والأشقر والرمادي، فضلًا عن المرادفات اللونية: الظلام والغيوم والعتمة.

إن اختيار اللون في الرواية اكتسب أهمية بالغة؛ لما له من أثر في تكثيف الدلالة، ودفع الرتابة عن النص، وقد شكّل في أحيان كثيرة إحدى التقنيات الرئيسة التي نهض عليها النص؛ لذلك اختار المرسل ألوانه بدقة متناهية بسبب تعدد دلالاتها، وقد اكتسبت في الرواية دلالات جديدة ومتنوعة من خلال السياق، فحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف وظّف الكاتب اللون في روايته؟ وأيّ الألوان أكثر حضورًا؟ وما التأويل المحتمل لاستخدامه؟ متخذًا من المنهج السيميائي منهجًا في تحليل النص وكشف دلالات ألوانه؛ لأنه يعمل على توضيح الدلالات وتأويل العلاقات الترابطية والإيحاءات المختلفة، فيُظهر معانيها ودلالاتها المستورة.

الكلمات المفتاحية: دلالة اللون، الثلج الأسود، محمد أزوقه.

Abstract

This study aims at investigating the colors in Azzouqa's work " Black Ice" and their aesthetic and symbolic aspects, their ability to carry a variety of indications and meanings , and their impact on the psyche of the characters. The study shows a number of colors which shapes the overall narrative textual structure: red, black, white, blond and gray let alone their symbolic meaning as: darkness and clouds. It also shows colors appearing less frequently in the novel.

Colors in the context of the novel gain crucial importance due to their effect on strengthening the meaning and reducing redundancy in the text. On several occasions, it became a technique upon which the novel is based. For this reason, the novelist chose the colors very carefully since each color has its own indication, implication and aim in the cultural heritage. In this novel, colors gained new and various indications based on their context. The study tried to answer such questions as: How did the novelist employ colors in his novel? Which one(s) was/were more prevailing? What is the potential interpretation thereof?

The study relies on the semiotic approach in the text analysis and revealing its colors implications because of its ability to uncover them and interpret the relations in between, different implications as well as concealed meanings and associations.

Key Words: Color connotation, Black ice, Mohammad Azouqah

* مدرّس، الجامعة الهاشمية، تاريخ استلام البحث 2021/03/02، تاريخ قبوله 2021/10/13.

©جميع الحقوق محفوظة، عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

المقدمة

يعدُّ الاختيار اللّوني أحد أهم عناصر التشكيل السردي في النص الروائي؛ لأنه ينطوي على أبعاد دلالية وجمالية تمنح النص الروائي قدرة عالية على المراوغة والإيحاء والتكثيف؛ ولبعده الرمزي، وحمله دلالات[1] متنوعة في العمق الثقافي العربي، وكثرة استخدامه وقدمها، وقدرته على دفع الرتابة والملل عن نفسيّة المتلقي وتأثيره فيها، فهو يمتلك "قوة موحية جذابة تؤثر في جهازنا العصبي"[2]؛ لذلك أصبح إحدى التقنيات الرئيسة التي يعتمد عليها المرسل في حبك نسيجه السردي وتقديمه للمتلقي، ولا يمكن أن يكون اختياره اعتباطيًا في النص الروائي، بل إنّ المرسل يجتهد ويتقصّد اختيار لون محدّد؛ لتكون الألوان معبرة عن الرسالة التي يسعى إلى إيصالها إلى المتلقي، فيصبح اللون علامَة دالّة، تؤدي دورها في تأويل النص، وتعدّد أبعاده، وإعادة إنتاجه، فلكل لون دلالته من السياق الذي يوظف فيه؛ لأن " السياق وحده هو الذي يحدد وظيفة اللون وفعاليته"[3]

ولكل مرسل قدرته على تقويل الألوان، والانزياح بها عن ثوابتها، وإذا عرفت أن العين البشرية قادرة "على تمييز ما لا يقل عن سبعة ملايين من الألوان"[4] عرفت مدى غنى هذا الحقل الدلالي، وقدرته على فتح النص أمام تعدّد القراءات، والبعد به عن السطحية والمباشرة، بل إنّه قد يتجاوز ذلك إلى أن يشكل المرتكز الذي تنهض عليه بنية السرد في أجزاء كثيرة من النص الروائي، سواء أكان ذلك في الشكل أو في المضمون، وعليه فإنّ استخدام اللون بكثرة في النسيج الروائي يستدعي النظر فيه، وتأمله بعمق؛ لتوضيح دوره ووظيفته في النص الروائي، ومن هنا جاءت فكرة البحث في محاولة للإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف وظّف المرسل اللون في نصه؟ وأي الألوان أكثر حضورًا؟ وما التأويل المحتمل لاستخدامه؟ متخذًا من المنهج السيميائي منهجًا في تحليل النص وكشف دلالات ألوانه؛ لأنه يعمل على توضيح الدلالات وتأويل العلاقات الترابطية والإيحاءات المختلفة، فيظهر معانيه ودلالاته المستورة، والدَّال عليها يستفز المتلقي، ويدفعه إلى إعمال عقله، وفك مغاليقه، انطلاقا من فهم العلاقة غير المستقرة بين الدَّال والمدلول، وبين الحضور والغياب، التي تقوم على إطلاق الإشارات دوالًا حرة، لا تقيدها حدود المعاني المعجمية، ويصير للنص فعالية قرائية إبداعية؛ تعتمد على الطاقة التخييلية للإشارة في تلاقي بواعثها مع بواعث ذهن المتلقي، ويصير القارئ المدرَّب هو منتج النص وقارئه[5].

---

[1] دَلَّه على الشيء يَدُلُّه دَلاً ودَلالةً فانْدَلَّ: سدَّده إليه، ... والدَّلِيل: ما يُسْتَدَلُّ به، والدَّلِيل: الدَّالُّ، وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أَعلى، والدَّلِيل والدِّلِّيلي: الذي يَدُلُّك، انظر لسان العرب مادة (دلل) وفي الاصطلاح يقول الجرجاني في كتاب التعريفات: " الدلالة هي كون الشيء بحاجة يلزم مع العلم به العلم بشيء آخر. والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول. وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص، ودلالة النص وإقصاء النص و الدلالة اللفظية الوضعية: هي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم معناه للعلم بوضوحه" انظر الجرجاني، الشريف علي ن محمد السيد: "التعريفات"، تح عبد المنعم الحفني، دار الرشاد القاهرة 1991 ،ص50، أما عن المُحدَثِين، فقد عرف أحدهم علم الدلالة بأنه: "العلم الذي يدرس المعنى، أو دراسة المعنى"، أو "ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى"، أو "ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى"، انظر عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر،1418 هـ 1998م، ص: 11.

[2] حمدان، نذير، الضوء واللون في القرآن الكريم، الإعجاز الضوئي– اللوني، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1422هـ–2002م، ص: 29.

[3] الشتيوي، صالح، رؤى فنية، قراءات في الأدب العباسي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005م، ص: 11.

[4] صالح، قاسم حسين، سايكلوجية إدراك اللون والشكل، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1982م، ص: 55.

[5] خلف، عصام، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر، مصر، 2003م، ص: 47–48.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

أضف إلى ما سبق أن الدراسات النفسيّة أثبتت أنّ الألوان ليست موجات واهتزازات ضوئيّة فحسب؛ بل إنها ذات تأثيرٍ كبير يصل إلى أعماق النفس البشريّة؛ فمنها إيجابيّ يُعبّر عن الراحة والحب والسعادة والسرور، ومنها السّلبي الذي يُثير مشاعر القلق والخوف والاضطراب والحزن والكره، بالإضافة إلى تأثيرها الواضح على الحالة المزاجيّة والصحيّة؛ حيث استُخدمت الألوان للعلاج منذ العصور والحضارات القديمة.[1]

وتمّ اختيار عينة البحث – الثلج الأسود لمحمد أزوقة – لأن اللون لم يدرس في الرواية الأردنية فيما أعلم، أضف إلى ذلك عنوان الرواية الذي يشير إلى أنَّ اللون يشكل إحدى المحاور التي تنهض عليها الرواية؛ مما يستفز المتلقي نحو دراسة النص، ومحاولة كشف أبعاده الدّلالية وإيحاءاته النفسية؛ راجيًا أن يكون البحث خطوة في دراسة شاملة للون وكيفية توظيفه في الرواية الأردنيّة فيما بعد.

وقد سبقت العديد من الأبحاث لدراسة اللون عند القدامى والمحدثين ركزت معظمها على الشعر، أمّا ما تحدث عن الرواية فقد درس بعضها جزئية محددة من عينة الدراسة، كدلالة اللون في الرواية العراقية مقاربة سيميائية في عتبتي العنوان ولوحة الغلاف لأحمد مجيد شاكر البصّام، وعلي عبد الرحيم كريم، وقد يدرس البعض الآخر علاقة اللون بعناصر النص الروائي، كجدلية اللون و الصورة في رواية "بيض الرماد" للمصطفى غزالني، التي درس الباحث من خلالها تجليات اللون والصورة في الرواية والجدل القائم بينهما، وبعض الدراسات مبنية على التحليل الإحصائي والعددي، إضافة إلى التحليلات اللغوية، وتأثير جنس الكاتب وبيئته في استخدامه لألوانه داخل النص الروائي، كدراسة اللون في الرواية العربية، دراسة تحليلية لخالد جميل شمّوط، وقد أفاد البحث من الدراسات السابقة، ولكنه ركز على كيفية توظيف المرسل للون في نصه، والتأويل المحتمل لاستخدامه، وأي الألوان أكثر حضورًا، فجاءت الألوان مرتبة في البحث وفق كثرة توظيف المرسل لها.

معايير تمييز الألوان:

" يتحدد اللون من خلال معايير أو قيم نستطيع من خلالها تمييز الألوان، وهي:

1 –صفة اللون (Hue): وهي الصفة التي . نميز ونفرق بها بين لون وآخر {أحمر، أخضر، برتقالي، أزرق} فعند مزج لونين أحمر وأصفر ينتج البرتقالي، وهذا تغير في صفة اللون.

2– القيمة (Value): تعرف بأنها العلاقة بين اللون المضيء واللون المعتم، بمعنى أخضر فاتح (Light Green) أو أخضر غامق (Dark Green) ، وتتخذ قيماً مختلفة باتجاه الإضاءة أو العتمة.

3– الإشباع (Saturation): وتمثل الدرجة التي يتصف بها اللون وفق عدد الذرات اللونية في المساحة (نقاء اللون)، التي تتحدد بقدر اختلاطه بالأبيض أو الأسود"[2]

[1] أحمد، أحمد إبراهيم، وهارون، د.هجو الفاضل، تكنولوجيا التلوين، دار جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، الخرطوم، 2013م ص: 9.

[2] دبس وزيت، حسام، ومعاد، عبد الرزاق، البعد الوظيفي والجمالي للألوان في التصميم الداخلي المعاصر، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، دمشق، العدد 2، المجلد 24، 2008م، ص:3–4.

©جميع الحقوق محفوظة، عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

العنوان (الثلج الأسود)

هذه العتبة النصيّة التي تنفصل عن صياغة النص الخطيّة، وتتصل برؤيته الفنيّة الجزئيّة أو الكليّة، وتختزل جانبًا مركزيًا من منطق الكتابة بسياقاتها التوظيفية والتاريخيّة والنصيّة[1]، وهي بنية جزئية موازية يتم توظيفها داخل النص بغض النظر عن سياقاتها الأصلية؛ لتكون إحدى المفاتيح الأساسية لدخول النص الروائي وإعادة إنتاجه، وعند التوقف عند عتبة عنوان الرواية نجدها تتركب من موصوف (الثلج) ببياضه وصفائه، وما يرمز إليه من خير، وانبعاث، ونمو وتجدد، وما يمارس فيه من لعب ولهو، وما يسببه من فرح وسرور، ثم تأتي الصفة (الأسود) لتسلبه كل هذه الدلالات، فالأسود رمز الحداد والحزن، وبدلًا من أن يحمل (الثلج) بلونه الأبيض دلالاته الإيجابية، نجده قد سُلب هذه الدلالات، فأصبح يوحي بالظلمة والهموم والمعاناة؛ لوجود صفة السواد بعد الكلمة الأولى من عنوان الرواية، وفتح الباب واسعًا أمام التأويل وتعدد القراءات، وطرح العديد من الأسئلة، فكيف يصبح الثلج ببياضه وصفائه أسود؟، وإلامَ يرمز السواد في العنوان؟ هل هو الموت وما يخلفه في النفس الإنسانية من فراغ وحزن ومعاناة، أم أنّه تعبير عن شدة ما تتعرض له الشخصية من قهر واضطراب؟

تُظهر عتبة العنوان أن المرسل ربما اعتمد في إيصال ما يريد على استخدم "المفارقة اللونية إن جازت التسمية، وهي المفارقة القائمة على اللون، التي يكون أساسًا ومرتكزًا لها، وتعتمد على وجود الضد"[2]، فجمع الكاتب بين الضدين: الثلج بلونه (الأبيض) الذي لم يذكر بشكل مباشر، وإنما حضر من خلال المرادف اللوني (الثلج) واللون الأسود، لتقوية معاني اللون الأسود ودلالاته على الأبيض، وقد جاء اللون الأبيض رديفًا يعمل على إظهار الدلالات الذهنية للأسود ويعززها، ونجح المرسل في وضع المتلقي منذ لحظة القراءة الأولى للنص أمام رمزية اللون والتركيز عليه في قراءة النص الروائي وتحليله، وأثار العديد من الأسئلة التي تفتح شهية المتلقي وتستفزه لقراءة النص، وهذا ما يحقق شرعية وجود العنوان أمام النص الذي يتقدمه.

اللون الأحمر

اللون الأحمر ما لونه الحمرة[3]، ويكثر استخدام اللون الأحمر في كثير من الأعمال الأدبية؛ لتعدد دلالاته وتعارضها؛ لذلك جاء في المرتبة الأولى من حيث التوظيف في النص الروائي، وقد ورد ذكره عشرين مرة، ويعدُّ لونًا من الألوان الساخنة والحيوية؛ لاكتسابه أهميته في الحياة الإنسانية من خلال ارتباطه بالدم في جانب، وفي تحريك الانفعالات القوية من جانب آخر، كالإقبال على الحب والإثارة[4]، يضاف إلى ذلك الشهوة، ومحاولات الجذب والإغواء ودغدغة العواطف؛ لأنه " يقترن بالعاطفة ويرمز إلى الإثارة"[5]، وهو لون يتصف بالوضوح والقدرة على لفت النظر وجلب الاهتمام ؛ لذلك" يستخدم في إبراز الأشياء بسبب وضوحه للعيان"[6]، وقد وظفه المرسل في النص الروائي؛ ليلفت نظر المتلقي إلى نمط الحياة الاستهلاكي الذي يسود لدى الأغنياء على نحو خاص، فقد

---

(1) الحجمري، عبد الفتاح، عتبات النص البنية والدلالة، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، 1996م، ص:16.

(2) الزواهرة، ظاهر محمد، اللون ودلالته في الشعر: الشعر الأردني أنموذجًا، دار حامد، عمان، الأردن، 2007م، ص: 214.

(3) الخويسكي، زين، معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1992م، ص: 46.

(4) عمر، أحمد مختار، اللّغة واللون، ط2، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1997م، ص: 75.

(5) معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، م. س، ص: أ–ع.

(6) م. ن، ص: أ– س.

"توقفت المحركات وفتحت الأبواب، بدأ الناس يخرجون من الطائرة، خليط عجيب من العرب والأجانب، الملابس مهرجان من الألوان الزاهية والأنماط المتضاربة، هذا رجل أعمال يرتدي بذلة صيفية فاتحة اللون، وربطة عنق حمراء، يحمل حقيبة سامسونايت وكيسًا مليئًا بالسيجار والوسكي، وتلك سيدة بدينة تلبس فستانًا أحمر فاقعًا، وتحمل ثلاثة أكياس عليها أسماء المحلات الشهيرة في نيويورك، والأطفال كذلك يحملون نصيبهم من علب الكرتون والأكياس"[1].

يُظهر المقطع السردي حركة قدوم نشطة توحي بالازدهار الاقتصادي والسياحي، لذا كان الخليط من العرب والأجانب يشي بالأمن والأمان السائد في المكان، ثمّ كان المهرجان من الألوان الزاهية والأنماط المتضاربة؛ ليحمل دلالة تعدد جنسيات القادمين وأعراقهم وأصولهم، فالمكان منفتح على الثقافات والشعوب كافة؛ ولذلك جاء رجل الأعمال في المقطع السردي نكرة؛ ليدل على العموم، مما يكرس دلالة انفتاح المكان على الآخر ويرسخها، يرتدي بذلة لونها فاتح وربطة عنق حمراء دليلًا على قوة الشخصية والقيادة، وامتلاك المال، وسعة النفوذ، وقد تضافر اللون وما يحمله بيديه (حقيبة سامسونايت، كيسًا مليئًا بالسيجار والوسكي)؛ ليؤكد الدلالة التي أراد المرسل إيصالها إلى المتلقي، ثم يضيف المرسل إلى هذه اللوحة الفنية صورة سيدة بدينة ترتدي فستانًا فاقع الحمرة، لون بارز وقوي ومركز، يلفت الأنظار ويجلب الانتباه، غير أن المرسل ألبسها فستانًا أحمر فاقع اللون؛ ليجعلها مثارًا للسخرية والتندر، فكانت بدينة، والبدانة صفة غير مرغوبة في المرأة؛ ليؤكد الدلالة السلبية لسلوكها، وقد أضاف إلى ذلك مجموعة من الأكياس التي تحملها من أشهر المحلات المعروفة، وكان للأطفال نصيبهم من الأكياس التي يحملونها؛ ليرسخ نمط الحياة الاستهلاكي الذي تحياه الشخصية، ويبدو أن الألوان الموظفة في نسيج المقطع السردي وما يساندها من صور منتقاة بدقة وعناية، حققت الدلالة التي يرغبها المرسل، وخدمت الرؤية التي يحملها النص.

وقد يرد الأحمر" للتعبير عن الغواية والشهوة الجنسية"[2]، فقد كانت جانيت " ترتدي قميصًا حريريًّا أحمر بأزرار، وقد فتحت الزرين الأول والثاني، فظهر جيدها الأبيض الناعم، وتنورة مطبوعة بزهرات متعددة الألوان مفتوحة من الجانب الأيسر أعلى الساق، وقد انسدل شعرها الأشقر بحرية على كتفها: لم تبالغ في زينتها، مدَّ يده بعفوية وبحكم تربيته كعربي محافظ، وبما تمليه عليه سنيّ زواجه العشرة؛ ليصافحها، لكنها تجاهلت يده وقفزت لتتعلق بكتفيه، وبحثت في نهم عن شفتيه، فوجئ بحركتها، لكن ..."[3].

يظهر هنا حرص المرسل الشديد على اختيار ألوانه ومزجها بعناية؛ لتحقيق ما يريده، فجاء القميص أحمر، لون الحب والإثارة، ليعمل على إبراز جمال المرأة، وجلب انتباه الآخر، ثم جعل القميص حريرًا؛ ليكون ناعم الملمس، وهو هنا يمزج بين حاسة النظر من خلال اللون، وحاسة اللمس من خلال نوع الرّداء، لتركيز الدلالة وتقويتها، ويظهر من خلال القميص الأحمر الحريري جيدها الأبيض، والبياض سمة جمالية محبوبة في المرأة، " فالدارس للأدب العربي يلحظ بشكل جلي ربط اللون الأبيض بالغزل والنسيب؛ فلم يختر الشاعر العربي لونًا غير الأبيض، سواء أكان ذلك بدلالته المباشرة أم غير المباشرة"[4]، ليصف جمال محبوبته، وبوجوده خلق المرسل ثنائية تشكيلية

---

[1] أزوقة، محمد، الثلج الأسود، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2017م، ص: 5.

[2] اللغة واللون، م. س، ص: 212.

[3] م. ن، ص: 97.

[4] حمدان، أحمد عبد الله محمد، دلالات الألوان في شعر نزار قباني، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2008م، غير منشور ص:40.

في بناء نسيجه الروائي بين اللونين الأحمر والأبيض، وأضاف إليها جمالية عالية وعمّق العلاقة بين عناصره، وجعل اللون الأحمر دالًا على الشهوة، وما تفضي إليه من تصرفات لاحقة، وظهر اللون الأشقر؛ ليتمم الصورة الجمالية المرسومة، فهو من السمات الجمالية التي تزيد المرأة جمالًا وإثارة[1]، ولم يكتف المرسل بذلك، بل أضاف إليه تنورة مزركشة بزهرات كبيرة متعددة الألوان، ليشير إلى تعدد العلاقات والبحث عن المتعة واللذة، وكانت التنورة مفتوحة من الجانب الأيسر إلى أعلى الساق؛ ليؤكد الدلالة الإغوائية، ويوحي بالدلالة الجنسية، ويحقق الإثارة الغريزية.

وفي مقطع آخر يأتي اللون الأحمر دالاً على الرغبة أو الشهوة الجنسية، فقد جلس سعيد مع أصدقائه "الثلاثة على المائدة، لفت نظر سعيد أنَّ النادلة فتاة لم تبلغ السابعة عشرة من عمرها، جميلة بشكل ملفت للنظر، لاحظ أنّ خديها يلتهبان بلون الجمر، كلما نظرت إلى برتوني، الرياضي القوي الجسم، الذي يحسده كل أصدقائه على براعته في لعب التنس والتزلج..."[2]، وبقيت الصبية تأتي وتروح قريبًا منهم، ممّا دفع سعيد إلى التعليق: "أتدري يا نينو، بعض الصبايا تسحرهن صورة الأب في الرجل.

- أو ربما صورة الجدّ.
- أتعتقد ذلك؟
- طبعا، وإلا فماذا تسمي هذه المهزلة؟

وهنا تدخّل أنجيلو: كُلا أنفسكما غيظًا، هي معجبة بي وانتهى الأمر"[3]، هو لم ينظر إليها ليكون ذلك سبب للحياء والخجل، ولكن هي من دفعتها الرغبة وشدة الإعجاب إلى النظر إليه، فالتهب خداها بلون الجمر تعبيرا عن الشهوة الجنسية الفائضة، فعلى الرغم من الفارق العمري بينهما إلا أنها تمعن النظر إليه المرّة تلو الأخرى، كأنها تتمناه بسبب بنيته القوية وجسمه الرياضي.

وجاء اللون الأحمر في أكثر من موقع في النص الروائي يحمل الدلالة الجمالية ممزوجًا مع غيره من الألوان، فيصف المجتمع الأمريكي وثقافته، فيقول: "تجدهم يرتدون ملابس غاية في البساطة: لو لم يخترع السيد ليفاي شتراوس الجينز في القرن الماضي، لكان الأمريكان رجالًا ونساء يعيشون على الدنيا بملابسهم الداخلية! الكل هنا يرتدي الجينز، باستثناء كاثي التي ارتدت تنورة سوداء ضيقة كشفت عن فخذيها الأشقرين الضاربين إلى الحمرة وارتدت جانيت فستانًا أحمر فضفاضًا، وهو ببنطاله الكحلي وقميصه الأبيض يجب أن يتذكر أن يطري فستان جانيت فهو جميل فعلا "[4].

يزاوج المرسل بين الألوان في مقاطعه السردية، ففي هذا المقطع حضر اللون الأزرق بشكل غير مباشر من خلال ما يرتديه الأمريكان من ملابس، ومن خلال ما يرتديه سعيد، فاكتسب اللون الأزرق دلالة البساطة والوداعة والهدوء[5] ، والانعتاق والتحرر من كل القيود التي تفرض على الشخصية ارتداء اللباس وفق المناسبة،

---

[1] اللون ودلالته في الشعر: الشعر الأردني أنموذجا، م. س، ص: 129.

[2] الثلج الأسود، م. س، ص: 218 – 2019.

[3] م. ن، ص: 219.

[4] م. ن، ص: 132 – 133.

[2] رياض، عبد الفتاح، التكوين في الفنون التشكيلية، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1983م، ص: 261.

خاصة أن الشخوص كانوا في دعوة للعشاء، وقد قُرن الأزرق مع الأبيض لدى سعيد؛ ليضيف دلالة الصفاء والنقاء في جلسة ودية، ودعوة عشاء، وعلى الرغم من الدلالات السلبية للون الأسود إلا أنه وظف في السياق ليحمل دلالة جمالية من خلال ارتباطه باللون الأشقر الضارب إلى الحمرة، فقد جاءت التنورة سوداء ضيقة؛ لتبرز مواطن الجمال في الشخصية ومفاتنها، ويجتمع ذلك مع الفخذين المكشوفين، ولونهما الضارب إلى الحمرة؛ ليشكلا صورة في غاية الجمال لشخصية تحاول إغواء الآخر، وقد ارتدت جانيت فستانًا أحمر؛ رمزًا للجمال والإثارة، وقد نجحت في إظهار جمالها وإثارة سعيد وجلب انتباهه؛ لذلك تمنى سعيد أن لا ينسى إطراءه فهو جميل حقًا.

واستخدم المرسل اللون الأحمر دالًّا على الحب، والاحترام والتقدير، فهو " لون العاطفة ومثيرها ورمز الحب الملتهب والقوة"[1]، و"لعل ارتباط الحمرة بالجمال، يدل على ما فيه من تأثير نفسي"[2]على الشخصية، فنجد سعيدًا يلجأ إلى استخدام الورد الأحمر كلما عجز لسانه عن التعبير عن مشاعره، فعندما قام بزيارة عمل إلى إيطاليّا دعاه صديقه (برتوني) للعشاء، وعندما ركب معه "لم ينس سعيد أن يشتري باقة ورد حمراء جميلة عن الطريق"[3] ؛ تعبيرًا عن مدى احترامه وتقديره لزوجة صديقه، وعندما ذهب للقاء جانيت في شقتها، تلك المرأة التي يعشقها، ويعشق رائحتها لم يجد ما يأخذه سوى ضمة "من القرنفل الأحمر، يكفي هذا، فهي لا تحب أن يحضر لها أي شيء"[4]، ولكنه أحضر القرنفل الأحمر برائحته الجميلة تعبيرًا عن حبه وتعلقه الشديد بها؛ لأن الكلمات تعجز في كثير من الأحيان عن البوح في مثل هذه المواقف، وقد تفصح الأزهار المقرونة باللون الأحمر، وتكشف وتعبّر أكثر من اللسان.

ويحمل اللون دلالة سلبية، فيأتي دالًّا على العرق البشري، وما يثيره من تفرقة عنصرية مبنية على العرق أو اللون، وما يبنى على ذلك من امتهان لكرامة الإنسان[5]، ففي لوحة متعددة الألوان تفرض على المتلقي المزيد من التأمل والقراءة لجمع خطوطها، وتفسير علاقاتها المتداخلة، يرسم المرسل صورة للمجتمع الأمريكي، فقد وجد سعيد نفسه في نيويورك: " ينظر إلى الناس بدلًا من البضاعة المعروضة، فالتركيبة الأمريكية في نيويورك خليط فريد من الأعراق والأجناس، وحتى اللغات، فمن الكوري إلى البورتوريكي، تشاهد ملامح مختلفة، وأحيانا متنافرة، يمر بك زنجي يجعلك ترتعد من طوله البالغ حوالي المترين، وفي اللحظة نفسها يمرُّ في الاتجاه المقابل فيتنامي لا يزيد طوله عن المتر والربع، ولا يزن أكثر من ثلاثين كيلو غرامًا، أما الملابس فهي أشد غرابة من الأشكال، أولاً، يلفت النظر عدد النساء اللواتي يرتدين الشورت، امرأة في حوالي الستين، سمراء البشرة، تزن حوالي مئة وعشرين كيلو غرامًا ترتدي شورتًا أحمر قصيرًا، برز منه فخذاها كأنهما قطعتي لحم عجل، وكانا يهتزان كلما خطت خطوة، مع وجود كتل شحمية تبرز من جوانب الفخذين، ومن خصرها كأنما علقت هناك بمشابك غير ثابتة، وكان سعيد يخاف

---

[3] الضوء واللون في القرآن الكريم، م. س ص: 46.

[4] شنوان، يونس، اللون في شعر ابن زيدون، منشورات جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، إربد، الأردن، 1999م، ص: 87.

[3] الثلج الأسود، م. س، ص: 221.

[4] م. ن، ص: 243.

[5] اللون ودلالته في الشعر: الشعر الأردني أنموذجًا، م. س، ص: 53.

سقوط تلك الكتل أثناء سيرها. في اللحظة نفسها مرَّت من جانبه امرأة حنطية اللون، ترتدي طقمًا مؤلفًا من سترة وبنطال، عيناها خضراوان واسعتان وقدَّها ... لا بدّ أنها الرياضة"[1]

فالفعل ينظر في بداية النص هو نظر تفحص وتدبر في المجتمع الهجين الذي يتكون من المجتمعات والأعراق الموجودة على وجه الكرة الأرضية كافة، فالملامح مختلفة حد التنافر، فقد يمر بك الزنجي وهو مرادف للون الأسود، ويوحي بالنظرة الدونية التي ينظرها المجتمع للأمريكيين من أصول أفريقية– "القارة السوداء"[2]، فاللون الأسود وضخامة أجسامهم تبث الرعب والخوف في نفس كل من يشاهدهم، وهذا ربط بينهم وبين الجريمة في المجتمع الأمريكي مع أنها ليست وقفًا عليهم، فالظلم والقسوة والتهميش وما تعرضوا إليه في التاريخ الأمريكي، وما يتعرضون إليه من تمييز وعنصرية قد يولد العنف في كثير من الأحيان.

ثم تظهر المرأة السمراء بشرتها الأحمر التي يصفها المرسل وصفًا يثر السخرية والشفقة، ويوحي بالسذاجة والبدائية، فيضيف إلى حمرة اللباس حمرة الكتل اللحمية المكشوفة من جسمها، إذ تظهر بشكل غير طبيعي وكأنها علقت بمشابك، وهو بذلك يشير إلى الهنود الحمر؛ أهل أمريكا الأصليون ومعاناتهم، وما تعرضوا له من اضطهاد وظلم وإهمال، إذ بُنيت حضارة عريقة وقوية في أرضهم وعلى أكتافهم، وكان نصيبهم منها الظلم والقمع والتشريد، ويرسم المرسل صورة للمرأة الأمريكية من أصول لاتينية توحي بالبساطة في اللباس والجمال في المظهر، وتحرص على ممارسة الرياضة بشكل يومي من أجل الحفاظ على رشاقة جسمها وجماله، فتظافر اللون الحنطي مع العينين الخضراوين، ودلالة الأخضر على الجمال والحياة والطبيعة، مع قدِّها لإظهار جمالها وروعة تشكيلها، وقد ترك المرسل علامة حذف بعد كلمة (قدّها)؛ ليترك للمتلقي تخيل مدى رشاقتها وجمال مظهرها وتناسق ألوان لوحته التشكيلية التي حرص على رسمها بالكلمات.

وقد اكتسب اللون الأحمر دلالة سياسية في القرن العشرين، "وذلك حين اتخذت الحركة الشيوعية العالمية الراية الحمراء لتكون شعارًا لها، وتغدو رمزًا لثورتها"[3]، فاقتدت بها أغلب الحركات المؤمنة بأفكارها حتى غدا الأحمر يشكّل جزءًا كبيرًا من شعاراتها، ومن ذلك منظمة الألوية الحمراء، وهي منظمة شبه عسكرية يسارية، مقرها في إيطاليا، كانت مسؤولة عن العديد من حوادث العنف؛ لذلك عندما زار سعيد إيطاليا يخاطب صديقه الإيطالي بقوله: "الحق عليكم، تدللون الشيوعيين في روما، بينما الألوية الحمراء تُكسّر سيقان أساطين الصناعة في ميلانو وتورينو ومدن الشمال الأخرى "[4]، دمار وتكسير وخراب ودماء تسيل في كل مكان، ويرتبط ذلك باللون الأحمر(الألوية الحمراء)، بينما تقف الديمقراطية عاجزة عن الدفاع عن نفسها، فكلما احتجزت السلطات أحد الإرهابيين، خرج بعد بضعة أيام بالكفالة أو لعدم كفاية الأدلة، مما دفعه إلى الطلب من سعيد أن يُعيره أحد مسؤولي الأمن من جيرانه في المنطقة.

وقد يعكس اللون الأحمر حالة الشعور بـ"الغضب والقسوة والخطر"[5]، والتردد والانفعال، فقد لاحظت سلوى "أن غادة عمدت إلى إطفاء سيجارتها قبل الانتهاء من تدخينها، وبحركة لم تخل من العصبية، وقد أحمرَّ خداها وقطبت

---

[1] الثلج الأسود، م. س، ص: 119.

[2] معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، م. س، ص: 103.

[3] الدقاق، عمر، الألوان والناس، العربي، العدد 302، يناير– كانون الثاني، الكويت، 1984م، ص: 161.

[4] الثلج الأسود، م. س، ص: 24.

[5] طالو، محي الدين، الرسم واللون، مكتبة أطلس، دمشق، 1961م، ص: 72.

حاجبيها، أدركت أنها ارتكبت غلطة بإخبارها عن زيارات جانيت ومكالماتها"[1]، غضبت وتغير لونها إلى الحمرة؛ لأن هناك من يحاول سرقة زوجها، وتدمير بيتها، ولم يكتفِ المرسل باللون ليعبر عن غضبها، وإنما أضاف إليه الحركة العصبية التي ظهرت على الشخصية؛ ليقوي دلالة اللون ومعناه ويظهر قوة انفعال الشخصية، وعندما قابلت غادة جانيت أقبلت "نحوها بتردد وقد التهب خداها، ربما من البرد، أو الانفعال، لم تتمكن غادة أن تقرر"[2]، ولكنه الانفعال الشديد، (فجانيت) تقابل غادة زوجة الرجل الذي تحاول الاستيلاء عليه بشتى طرق الإغواء والإثارة للمرة الأولى، ولا تعرف ماذا تريد منها؟ وكيف ستكون ردة فعلها؟ فمن الطبيعي أن تكون في قمة الإثارة والانفعال؛ لذلك لجأ المرسل إلى التعبير عن اللون الأحمر بالفعل (التهب) للمبالغة في إظهار شدة الحمرة، وليدل على قوة الحركة أو الاضطرابات التي اعتملت في نفس الشخصية.

وفي مقطع آخر يدل الأحمر على التعب والمشقة، والقلق وقلة النوم، فعندما علم (روبرت) بإصابة (جانيت) بحادث سيارة تأثر كثيرًا وركب الطائرة إلى عمّان، وكان يحضر إلى المستشفى، ويبقى بجانب سريرها حتى تخرجه الممرضة، وانصرف بعد اليوم الثالث "وهو يسير على مهل، عيناه حمراوان كالجمر، ثلاث ليال لم ينم خلالها أكثر من ساعتين"[3]، سهر متواصل وقلق شديد على سلامة المصاب، وحالة من الإرهاق أكسبت عيني الشخصية لون الحمرة.

وقد يحمل اللون الأحمر دلالة المرض أو الإصابة، كما نجد في المقطع الآتي: "اقتربت غادة من ابنها بتمهل ونظرت إليه: رأسه معصوب بالشاش الأبيض، وقد قُصَّ قسم من شعره الأملس الجميل بشكل اعتباطي في منطقة الجرح، جفنه الأيسر محمر قليلا "[4]، ونلاحظ هنا المزج بين اللونين الأبيض والأحمر لتعميق دلالة المرض وتركيزها، فهناك جرح احتاج إلى التضميد، ولون أحمر يوحي بشدة الضربة أو الإصابة التي تعرض لها الطفل.

كما استخدم المرسل الأحمر بدلالته التقليدية المستمدة من التراث، إذ يكون اللون الأحمر" رمزًا للخجل والحياء"[5]، فقال: لا أدري إذا كنت سأبقى حتى الجمعة، ربما أسافر.

- ماذا؟ ونظرت حولها، فقد صرخت بشكل عفوي جعل الناس ينظرون إليها بدهشة، احمرّ خداها واطرقت خجلا ضاحكة"[6]، فاحمرار الخد دلالة الخجل والحياء دلالة اجتماعية معروفة، وفي مقطع حواري آخر نرى جانيت تندفع نحو سعيد "وطوقت عنقه بذراعيها وهمت بتقبيله، إلا أنه ضغط برفق على كتفها هامسًا: ليس هنا، الكثير يعرفونني.
- آسفة يا سعيد، لقد نسيت... وصافحته مضطربة، وهي تتلفت حولها.

---

[1] الثلج الأسود، م. س، ص:261.

[2] م. ن، ص:268.

[3] م. ن، ص:289

[4] الثلج الأسود، م. س، ص: 249-250.

[5] اللغة واللون، م. س، ص212.

[6] الثلج الأسود، م. س، ص:130.

©جميع الحقوق محفوظة، عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

احمرّ وجهه خجلًا، ولم تخفَ عليه النظرات التي حدّجه بها جمهور الواقفين حولهما"[1]، وهنا أضاف المرسل إلى الدلالة التقليدية معنى جديدًا، يوحي بتناقض الثقافات واختلافها، ففي الغرب بيئة وثقافة تقدّس الحرية الشخصية، وتعلي من شأنها مع الالتزام بالقوانين والأنظمة الناظمة لحياة الفرد، فتقبيل أحدهما الآخر سلوك عاديّ في هذا المجتمع، وفي الشرق بيئة وثقافة تفرض الكثير من الضوابط الاجتماعية، والدينية لهذه الحرية، فمثل هذا السلوك غريب مذموم؛ لهذا كان الخجل والاضطراب، واللون الأحمر الذي يعلو ملامح الوجه عندما يلتقيان في وطنه.

اللون الأسود

يشير معجم الألوان إلى أن الأسود "ضد الأبيض من الألوان"[2]، وهو "بغيض للنفس أحيانًا ومحبب حينًا"[3]؛ بغيض عندما يذهب بذهن المتلقي إلى الشعور بالفقد، والموت، والحداد، والحزن، أو يرتبط ببشرة "الإنسان لعلاقته بالعبودية والتشاؤم والظلام والتطير"[4]، ومحبب عند ارتباطه بالشعر والعيون واللثة والشفتين، وفي جانب آخر هو لون الأناقة، وأحد مظاهر السلطة والقوة والثروة، والحكمة والوقار، والجمال، والذي يزداد تأثيرًا عند مزجه مع ألوان أخرى في إبداع الصورة السردية، وقد يرمز إلى أمور عديدة تكون متضادة في بعض الأحيان؛ لأنه دائم التغير وفق الظروف المكانية والزمانية[5].

وقد وظفه المرسل ممزوجًا مع غيره من الألوان في نسيجه السردي، فعندما خرجت جانيت من قاعة الاجتماعات تفاجأت بسعيد "واقفًا مع السكرتيرة في البهو، عندما لمحها قطع حديثه وابتسم باتجاهها، تسمرت في مكانها، وشعرت بقلبها يضطرب وجفّ حلقها فجأة... رجل في حوالي الأربعين، رياضي القامة، يرتدي بنطالًا رماديًّا مكويًّا كحد السيف، وقميصًا أبيض بنصف كم يظهر ذراعيه القويتين السمراوين اللتين يغطيهما شعر أسود كثيف، الرأس مستدير والشعر الأسود المسترسل طويل بعض الشيء ومصفف بغير عناية، أما العينان فلم تشاهد في حياتها مثل اخضرارهما: كأنه قط سيامي!."[6].

تكثيف لوني في المقطع السردي السابق، يقوم فيه اللون الأسود ودلالاته على الشباب والقوة واكتمال النضج بدور أساس، وتعدد الألوان بهذا الشكل "يثير على صعيد تشكيل المعنى، جملة من المسائل التشكيلية، والسيميائية والجمالية"[7]، فقد جعل المرسل سعيدًا في الأربعين من العمر، وهو عمر النضج وكمال العقل والجسم، وزيادة في إظهار شبابه وقوته ورشاقة جسمه جعله رياضي القامة، يرتدي بنطالًا رماديًا مكويًا كحد السيف، وقميصًا أبيض، والرمادي بدرجاته المختلفة ناتج عن مزج الأسود مع الأبيض، أما القميص الأبيض فيحمل دلالة الصفاء

---

[1] م. ن، ص:178.

[2] معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، م. س، ص: 101.

[3] دلالات الألوان في شعر نزار قباني، م. س، ص: 33.

[4] م. ن، ص: 35.

[5] الصحناوي، هدى، فضاءات اللون في الشعر، الشعر السوري أنموذجًا، دار الحصاد، دمشق، سورية، ، 2003م، ص:12.

[6] الثلج الأسود، م. س، ص:11.

[7] جواد، فاتن عبد الجبار، اللون لعبة سيميائية، بحث إجرائي في تشكيل المعنى الشعري، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010م، ص: 171.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

والجمال، ويتناسق مع اللون الرمادي؛ لأنّ "التنافر لا يمكن أن يحدث بين الألوان المحايدة، وهي الأبيض والأسود والرمادي"[1]، فيظهر حرص سعيد على جمال لباسه، وتناسق ألوانه وعنايته بمظهره.

وقد جاء المرسل بذراعيه السمراوين؛ ليوحي بعروبته، فالسمرة هي اللون الغالب على العرب، فـ"المرأة العربية سمراء، والعربي أسمر"[2]، أمّا الشعر الأسود الكثيف واسترساله، فيوحي بالشباب والصحة والجمال، فيبدو أنه الشخص الذي تبحث عنه جانيت لتواعده، وهي تعيش بعيدًا من وطنها، وإلى جانب الحشد اللوني السابق تأتي ظلال الأخضر عبر عيني سعيد؛ لتعين المرسل على رسم الصورة المثلى للرّجل المرغوب فيه.

مما سبق يظهر أن المرسل أجاد تنسيق الألوان في المقطع السردي السابق، فمزج بين ما يوحي به اللون الرمادي والأبيض والأسود والأخضر، وصفات الجمال، والقوة الجسدية، والشباب، والعناية الشديدة بالمظهر الخارجي.

ووظف المرسل الأسود ليحمل دلالة جمالية، فعندما ذهبت (جانيت) لمقابلة زوجة سعيد "شعرت بانسحاق تام أمام هذه المرأة، عينان سوداوان واسعتان تخترقان النفس، وتنفذان إلى القلب مباشرة، وهما أقرب مثال إلى العيون العربية الجميلة... هندام منسق وزينة معتدلة، أناقة متحفظة، وثقة بالنفس..."[3] ، وصف المرسل العيون بالسود، وهي سمة جمالية في المرأة، "وإذا كانت العيون موطن الجمال والإبصار، والاستشراف والتأمل والاتساع، فإن العيون السود قد أخذت دلالات متغيرة، وارتباط السواد بالعيون منحها مسحة جمالية"[4]، وقد جعلهما المرسل رمزًا للمرأة العربية، فعينيها أقرب مثالًا للجمال العربي، بل إنهما قادرتان على النفاذ إلى داخل (جانيت)، ومعرفة ما يدور في خلدها، وأضاف إلى قوة شخصيتها جمال مظهرها وبساطته؛ ليعزز الدلالة الجمالية للأسود عند ارتباطه بالعيون العربية.

وجاء الأسود دالًّا على الإثارة والإغواء، فهي "صبية شقراء طويلة ترتدي فستانًا هو أشبه بنصف كم إذ لا يكاد يغطي فخذيها، أسود اللون، ياقته مفتوحة بشكل مثلث من الأمام، تُظهر أكثر مما تخفي، ولا تترك للتخيلات سبيلًا، وكانت تلبس تحت الفستان جوارب سوداء طويلة من النوع المثقب، بدت لسعيد وكأنها من إنتاج أحد أندية البلاي بوي"[5]، و"الشقرة في الإنسان: حمرة صافية وبشرة مائلة إلى البياض"[6]، وقد توحي أنها رمز لجمال المرأة الأجنبية، وعندما يحوط الحمرة المائلة للبياض غلالة من السواد الذي يكشف أكثر مما يخفي، يتجسّم الجمال في هذه المرأة التي شكّلها المرسل بألوانه، وتحدث الإثارة وتتفجر الرغبة؛ لأن الضد يظهر جماله الضد.

وحمل المرسل الأسود دلالة سياسية في النص الروائي، ففي حرب عام 1967م تطوع سعيد للقتال، ولكنّه بقي في المعسكر، يخرج الخفارة ويقوم بصيانة البندقية، "وبين هذا وذاك يستمع إلى الراديو، تلك الآلة اللعينة التي تحولت إلى دكتاتور أسود القلب سادي النزعة "[7]، فالمرسل يرسم صورة بشعة لهذا الجهاز، وما يحمله من أخبار

---

[1] معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، م. س، ص: أ– م.

[2] فضاءات اللون في الشعر، الشعر السوري نموذجًا، م. س، ص:199.

[3] الثلج الأسود، م. س ، ص: 270.

[4] اللون ودلالته في الشعر: الشعر الأردني أنموذجًا، م. س، ص: 95.

[5] الثلج الأسود، م. س، ص: 124.

[6] معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، م. س، ص: 114.

[7] الثلج الأسود، م. س، ص: 54.

©جميع الحقوق محفوظة، عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

الهزائم المتلاحقة للجيوش العربية، واستيلاء العدو على المزيد من أرض فلسطين في عام 1967م، كما يصور للمتلقي شدة متابعة سعيد وتلهفه؛ لمتابعة الأخبار المتعلقة بالمعركة، فكان يمضي معظم وقته أمام الراديو الذي يحمل إليه دائمًا الأخبار السيئة، وكأنه لا يحمل له إلا الحقد والكراهية والسواد.

ووظّفَ المرسل الأسود كناية عمّا يدور في نفس الشخصية من أفكار سلبية، عندما تتعرض لمصاعب الحياة ومواقف الشدة، فعندما تعرضت (جانيت) لحادث سير، وتوقعت أن تصاب بالشلل، راودتها الكثير من الأفكار، بخاصة أن زملاءها في الشركة أهدوها مجموعة من الكتب، قالت:"... كأنهم يدركون أنه سيكون لديّ الوقت الكافي لقراءتها كلها... عادت فاستبعدت الأفكار السوداء، واختارت رواية (المؤامرة)، لايرفنج والاس واستغرقت فيها"[1] ، فهناك أفكار سلبية ترتبط بزملائها في العمل، ويعزز ذلك عنوان الرواية المختارة.

اللون الأبيض

يأتي اللون الأبيض في المرتبة الثالثة بعد الأسود في الرواية من حيث التوظيف، فقد ذُكر أربع عشرة مرة، وهو "المتصف بالبياض، ضد الأسود، ونقول: وجه أبيض؛ نقي اللون من الكلف والسواد الشائن"[2]، ويرتبط بدلالات متعددة توحي بالأمل والتفاؤل والصفاء والتسامح، والنقاء، ويبعث على الودّ والمحبة[3]، ومن دلالاته الإيجابية "دلالات الحسن والجمال عند المرأة والسيادة وعلية القوم عند الرجل"[4]، ويرمز "للصفاء والعفة والنظافة والطهارة"[5]،ويُعدّ "من الألوان الباردة، التي تثير الشعور بالهدوء"[6]، وقد يحمل دلالة الموت والانتهاء.

ويغلب على اللون الأبيض الدلالات الإيجابية، ويظهر ذلك بوضوح من خلال النص الروائي، فعندما خرجت (جانيت) من المطار باتجاه عمّان شاهدت "الأبنية من الحجر الأبيض الجميل"[7]، لأنّ الوطن يرتبط لدى المرسل بالجمال والطهر والنقاء؛ ولعله يشير بذلك إلى مشاعر الحب والصدق والوفاء والسلام التي تجمع أهل البيوت في وطنه.

وقد ارتبط الأبيض بأصدقاء سعيد، "ففي أحد المطاعم المفتوحة المنتشرة بين شارع أبو النواس وشاطئ دجلة، قام أبو علاء فور دخول الصديقين مصافحًا ومرحِّبا بثوبه الأبيض..."[8] ، وهنا اختار المرسل اللون الأبيض للثوب، بوصفه لونًا واضحًا لا تخفى فيه شائبة، فهو لون العفة والطهارة، ويوحي بصفاء النية ونقاء السريرة؛ ولذلك يتعجب سعيد من روح صديقه المرحة، وقدرته على إيجاد جوٍ مليء بالفرح والسرور، فقد كان مثار إعجاب الجميع، لا يغضب منه أحد لطيبة قلبه على الرغم من إطلاقه الألقاب على كلّ صديق من أصدقائه، وفي إيطاليا يلتقي

---

[1] م. ن، ص: 292.

[2] معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، م. س، ص: 16.

[3] اللون ودلالته في الشعر: الشعر الأردني أنموذجًا، م. س، ص: 77.

[4] دلالات الألوان في شعر نزار قباني، م. س، ص:39.

[5] عبيد، كلود، الألوان، دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2013م، ص: 61.

[6] عبد الوهاب، شكري، الإضاءة المسرحية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1985م، ص: 85.

[7] الثلج الأسود، م. س، ص: 6.

[8] م. ن، ص: 70.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

سعيد صديقه (دي لونجي)" شاب في مقتبل العمر أبيض الوجه كثيف شعر الرأس"[1]، وهنا حمل الأبيض دلالة الصدق والإخلاص، فحاول (دي لونجي) مساعدته على إنجاز عمله في الزمن المطلوب، فاتصل مع أصحاب المصانع والشركات، وسافر من مدينة إلى أخرى، واستضافه في بيته وبقي ملازمًا له إلى أن أتمّ سعيد عمله وعاد إلى عمّان.

وفي مقطع سردي آخر وقعت عينا سعيد "على ضوء ساطع...، السادسة صباحًا، غريب، يفترض أن تكون الدنيا مظلمة، ثم أصاخ السمع، هدوء تام، فكّر قليلًا، خفق قلبه وملأته البهجة: هل يعقل؟ قفز إلى الشباك ونظر، إنّه صديقه القديم، الثلج، نظر إلى غادة، متكورة في الفراش كالقطة، كم تحب الدفء، ركض إلى غرفة البنتين: بابا، قوموا، ثلج، هجمت البنتان على الشباك، وعلا صراخهما: يا الله، ثلج، انظر إلى الأشجار يا بابا، أليست جميلة؟ تماما كالأفلام، بل وأجمل... ذهب إلى غرفة أحمد وأيقظه...

- هيا البسوا ملابس ثقيلة، وسنخرج إلى الحديقة، ونزيل الثلج عن الأشجار، ثم نلعب...
- وتبني لنا تمثالا كبيرًا؟ "[2]

هذا هو الثلج ببياضه وفرحه وسروره ولهوه واجتماع العائلة وما يرافق ذلك من صخب، وممارسة فنون النحت والتشكيل لبناء الرجل الثلجي، وقد يشارك الجيران في اللعب والبناء، ولكن هل يستمر هذا البياض والصفاء والمحبة، واجتماع العائلة في جو محبب؟ لنجد سعيد ربّ العائلة يخرج "فجأة نظر إلى ساعته وتذكرها! اليوم تسافر، دخل البيت وأسرع إلى الهاتف، أجابته موظفة الاستعلامات أن لا تغيير على موعد إقلاع طائرة نيويورك، ساعتين فقط... خرج مسرعًا دون أن يُعلم أحدًا، لم يلحظ خروجه إلا غادة... ، ثم انطلق تاركًا خلفه خطّين أسودين... وكانت الجرافات قد فتحته، وأزاحت الثلوج إلى جوانب الطريق، آلمه أن يرى منظر الثلج وقد اتسخ، فذلك يشوه صورته الجميلة النقية"[3]، وخرج سعيد من بين زوجته وأبنائه وعلاقته المشروعة التي تتفق مع دينه وما يسود مجتمعه من عادات وتقاليد؛ ليلحق بعشيقته قبل أن تقلع الطائرة بما تمثل هذه العلاقة من خروج على كلّ ما تربى عليه في بيئته ومجتمعه، ويظهر اللون الأسود منذ خروجه من بيته، فيقلب دلالة الثلج وبياضه وما تمثله من إيجابية، ليوحي بالفراق والحزن وفقدان الأمل والبكاء، والموت والجمود، فقد يعود سعيد لبيته وعائلته بعد مغامرته العاطفية، ولكنه يعود جسدًا دون روح، يعاني الموت النفسي وحالة من الانكسار؛ لذلك خرج من القاعة في المطار بعد أن ودّع (جانيت) مسرعًا وباكيًا، ليجد غادة تنتظره عند الباب، تحاول علاج جراحه والمحافظة على بيتها، فمسحت دموعه وأخذت بيده إلى البيت، وقد عّبر المرسل عن تلك العلاقات من خلال الجمع بين لونين؛ الثلج الأبيض بصفائه ودلالاته الإيجابية المتعددة، واللون الأسود بدلالته على الحزن والمعاناة التي تفيض من قلب الشخصية، ويمكن القول: إن هذا المقطع السردي يرتبط بالعنوان ارتباطًا شديدًا.

ويرتبط الأبيض "بالكفن أي الموت"[4]، ففي المستشفى وفي بداية صحيانها من الغيبوبة شاهدت (جانيت) أنوارًا باهرة، "بياض حيث نظرت، إنني أكره الأضواء الساطعة، أناس يروحون ويجيئون، هم أيضا يرتدون ملابس

---

[1] م. ن، ص: 211.

[2] م. ن، ص: 300

[3] الثلج الأسود، م. س، ص: 302 – 303.

[4] اللون ودلالتهفي الشعر: الشعر الأردني أنموذجًا، ص: 87.

©جميع الحقوق محفوظة، عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

بيضاء، ها أنا ميتة، وهؤلاء الناس في الآخرة معي: من هذا؟ كأنه روبرت... وماذا يفعل هنا؟ إنه لا يرتدي ملابس بيضاء..." [1]، فقد اكتسب الفضاء المكاني في المقطع السردي السابق اللون الأبيض، ولكنه بحلة سوداوية، فقد تحول الأبيض إلى النقيض من دلالاته الإيجابية، فالأشخاص والأدوات والأثاث المحيطة (بجانيت) بيضاء، وبذلك يوحي بالمرض والحزن والقرب من النهاية، فاعتقدت (جانيت) للوهلة الأولى أنها ميتة، وفي الدار الآخرة؛ لأن حضور الموت كان طاغيًا في المقطع السردي بلونه الأبيض، في حين كان حضور الحياة من خلال (روبرت) الذي لم يكن معها، وما زال على قيد الحياة؛ لأنه يرتدي غير الأبيض، وهنا تحول الأبيض إلى رمز للموت، ويظهر المقطع السردي سرعة تأثر (جانيت) بالثقافة العربية الإسلامية – خاصة فيما يتعلق بالموت– مع أن إقامتها في عمّان كانت قصيرة.

وفي مقطع آخر يستعجل سعيد الشهوة الجنسية، مثلما جانيت تستعجل لقاءه في الغرفة، وعندما سألها وهما في المطعم إذا كانت ترغب في أن تطلب شيئًا سرَّه رفضها، فخرجا "بلمح البصر من المطعم إلى أقرب سيارة أجرة إلى الفندق، أخذ المفتاح ضغط على زرّ المصعد حتى ابيضَّ اللحم على أصابعه"[2]، فنجد أن استخدام البياض هنا يعطي معنى الموت والاشتهاء، فالإصبع بلونه الأحمر عاديًا؛ لوجود الدم فيه، عندما ضغط المصعد تراجع الدم أو الحياة وحلَّ البياض أو الموت في الإصبع، وكأنه يعني أن ما يقدم عليه هو اشتهاء وموت وإن كان فيه إشباع لرغبته.

اللون الأشقر

الشقرة في الإنسان هي "حمرة صافية، وبشرة مائلة إلى البياض، وفي الوجيز (الشقرة): بياض البشرة مع ميل إلى الحمرة"[3]، وعلى الرغم من غلبة الدلالات الإيجابية للشقرة؛ فإنّ توظيفها في المقاطع السردية لم يتجاوز ثمان مرات، أفضت إلى دلالات جمالية، وقد ارتبطت في الغالب بالمرأة الأجنبية، فقد عمدت (جانيت) "إلى تجفيف شعرها الأشقر الطويل المنسدل وسرحته بعناية، ثمّ عقّصته على هيئة ذيل حصان، ولبست سروالها الجينز المهترئ، وقميصاً قطنيًا مطبوعًا عليه بما معناه أنها تحب نيويورك، ثم نظرت إلى نفسها في المرآة، وقالت: اقتليهم، ثم أطفأت النور وخرجت"[4].

ويظهر أن شقرة الشعر تضفي جمالاً على المرأة، وهي "مدعاة للتباهي عند الأنثى"[5]. وأضافت إلى جمال اللون جمال الشكل، فجعلته في هيئة ذيل حصان؛ ليكون أجمل وأكثر فتنة وإثارة، وأضاف المرسل اللون الأزرق الذي حضر عبر المرادف اللوني(الجينز)، "وهو لون البحر الصافي والسماء الزاهية"[6]، ليقوي الدلالة الجمالية التي تفضي إلى الافتتان وشدة التأثير؛ لذلك نجدها بعد أن اكتملت زينتها، قالت: اقتليهم ثمّ خرجت، والقتل هنا وسيلته

---

[1] الثلج الأسود، م. س، ص: 286.

[2] م. ن، ص: 98.

[3] معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، م. س، ص: 114.

[4] الثلج الأسود، م. س، ص:14.

[5] اللون ودلالته في الشعر: الشعر الأردني أنموذجا، ص: 130.

[6] الضوء واللون في القرآن الكريم، م. س، ص: 49.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

الجمال والفتنة والإغواء، وربما أوحي ذلك بالمكر والخديعة؛ لارتباطه بالمرأة الأجنبية التي تسعى إلى قتل الآخر وإشباع شهوتها.

وفي مقطع آخر يصف سعيد سيدة من الشام فيقول:" شقراء ممتلئة الجسم قليلًا، تلبس فستانًا حريريًّا أزرق مفتوحًا عند الصدر العامر، عيناها زرقاوان واسعتان، " في مرفأ عينيك الأزرق... أمطار من ضوء مسموع" وتلبس على جيدها البضّ عقدًا من الماس المتلألئ، يبهر الأبصار، وفي يدها أسوارة تجاري عقدها، كما التمعت على أصابعها الخواتم المختلفة، أما أذناها الصغيرتان الجميلتان، فقد تدلّى منهما قرطان ماسيان رائعان، وإن كانا طويلين أكثر مما يقبله ذوق سعيد، فمها مرسوم بعناية فائقة بالأحمر المثير، وقد تورّد خدّاها من حرارة الجوّ، وحرارة الصبا، نظرت إلى جليسها الذي يبدو وكأنه قال ما يضحكها، فظهرت أسنانها التامة الشكل الناصعة البياض"[1]

والشعر الأشقر سمة جمالية في المرأة، ويبعث على الشعور بالإعجاب، وأضاف المرسل فستانًا حريريًّا ليدل على الثراء، وباللون "الأزرق الدال على الصدق والحب والوفاء"[2]، ثمّ فتح الفستان من عند الصدر ليوحي بالإثارة والإغواء، وعيناها زرقاوان واسعتان، جعل لهما مرفأ، مما يشي أن هذه الزرقة "مكتسبة من البحر (الأزرق)، والسماء(الزرقاء) سمة الشي المجهول"[3]، لسعة كلّ منهما وعمق البحر، فقد تأخذك إلى عالم مجهول من المتعة واللذة، وجاءت المرأة بكامل زينتها الثمينة؛ ليقول المرسل إنها ليست سيدة عادية، وإنما شامية مدللة من علية القوم، ثمّ ظهر اللون الأحمر في نهاية المقطع السردي بوساطة الشفاه المرسومة بعناية والخدود المتوردة لتوحي بالإثارة والشهوة، فقد استعمل المرسل الأحمر؛ للتعبير عن الغواية والشهوة الجنسية، وتكتمل اللوحة التشكيلية الجمالية المرسومة بوجود الأسنان البيضاء ناصعة البياض، وهي سمة جمالية تبعث على الإعجاب في المرأة، ويُلحظ في المقطع السردي السابق تكثيف لوني، يُفصح عن جمال الموصوف وقدرته على الإغواء والإثارة، وما يعتمل في نفسه من رغبة، فاللون هو مادة المقطع السردي السابق، أضاف إليه المرسل ما يعزز دلالته ويقويها: شقراء/ جسم ممتلئ، وفستانًا حريريًا أزرق/ مفتوحًا عند الصدر العامر، عيناها زرقاوان/ واسعتان، والأحمر/ المثير، وتورّد خداها/ من حرارة الصبا، والناصعة البياض/ التامة الشكل...، وبهذا يكتمل تفصيل الصورة الجمالية للمرأة الشامية وتوضيحها.

اللون الرمادي

شكل اللون الرمادي حضورًا قليلاً في الرواية، فقد جاء في ثمانية مقاطع، واختلفت دلالاته وفق السياق الذي وردت فيه، وهو"ما كان لونه لون الرَّماد"[4]، ويُعدُّ لونًا محايدًا يقع بين الأبيض والأسود، وناتج عن مزجهما معًا، وهو "درجات يكثر بياضها أو يكثر سوادها[5]، وقد جاء الرمادي دالًا على الذكاء والدهاء والخوف[6]، فعندما:" دخل روبرت مكتبها، وجلس قبالتها، سمع نهاية الحديث الهاتفي، فنظر إليها بعينيه الرماديتين الثاقبتين، اضطربت

---

[1] الثلج الأسود، م. س، ص: 170.

[2] اللون ودلالته في الشعر: الشعر الأردني أنموذجا، ص:72.

[3] م. ن، ص: 65.

[4] معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، م. س، ص: 82.

[5] م. ن، ص: أ – ز.

[6] اللون لعبة سيميائية، بحث إجرائي في تشكيل المعنى الشعري، م. س، ص: 163.

©جميع الحقوق محفوظة، عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

جانيت وحاولت التشاغل عنه بالرسوم التي أمامها"[1]، ويوحي اللون هنا بالذكاء والفطنة فقد استطاع أن يستنتج أن (جانيت) ترتبط بعلاقة عاطفية جديدة على الرغم من أنه لم يسمع المكالمة كاملة، فوضعها تحت عينيه الرماديتين؛ ليستنتج من خلال ردة فعلها عمق تلك العلاقة؛ لأنها تعني انتهاء علاقتها به، ووصولها إلى النهاية.

وحمل اللون الرمادي دلالة سلبية دالة على المرض والتلوث، فقد امتزجت به ألوان أخرى، كالبياض والسواد والحمرة وسيطر الرمادي عليها؛ ليوحي بمقدار التلوث الذي تخلفه المصانع، ومقدار الضرر الذي تلحقه بالبيئة المحيطة، وهو المرض الذي يفتك فيمن حوله، "أمّا الأبنية الأخرى، فقد أحال دخان المصانع وعوادم السيارات لونها إلى الرمادي الغامق، فهذه المدينة هي العصب الصناعي لإيطاليا"[2]، ولعله يوحي بالعتمة التي تغلف المجتمع الصناعي ونضوب الحياة فيه.

اللون الأخضر

يحمل اللون الأخضر دلالة الخصب والنماء "فهو لون الخصب والرزق في اللغة العربية، كما يعد لون النعيم في الآخرة"[3]، ومع أنه يملك إمكانية كبيرة للترميز والتصوير، فيدل على النموّ والأمل والخصوبة ويشير إلى " الحياة والتجدد والانبعاث والربيع"[4]جاء توظيفه في النص الروائي محدودًا مقارنة مع غيره من الألوان، فقد ذُكر ست مرات.

ففي المقطع الآتي لاحظ سعيد "شرودها فقال: يجب أن تشاهدي هذه المناظر في الربيع، خاصة بعد سنة غزيرة الأمطار، إنها تكتسي بالأعشاب الخضراء والأزاهير البرية المتعددة الأنواع والألوان إضافة إلى البقول والنباتات المتنوعة الصالحة للأكل والتي يصنع من بعضها أهل المنطقة عدة أدوية، بحيث تصبح الحياة هنا سيمفونية من الألوان والأشكال الرائعة، تشارك فيها الطيور وصغار الحيوانات باللون والصوت والحركة، حتى روائح النبات هنا لها نكهة خاصة، تصوري أنه توجد هنا نباتات تزهر ليوم واحد في السنة، وللبعض الآخر أزاهير تتفتح نهارًا وتغلق ليلًا، إن الربيع هنا قصير نسبيًّا، لكن جماله مكثف"[5]، وهنا يرتبط المقطع السردي بالطبيعة على جانبي الطريق المؤدي إلى مدينة العقبة، والحديث عن الربيع والأعشاب والخضرة بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال مرادفات اللون الأخضر هو حديث عن البعث والنهوض والتَّجدد، ويوحي بالخير والحيوية والحركة، وجعل المرسل في النباتات شفاء لأهلها من الأمراض وحماية لهم من الجوع؛ أي استمرارية الحياة وتجددها، ثمّ مزج اللون الأخضر مع غيره من الألوان والصوت والحركة؛ ليدفع المتلقي إلى رسم صورة متكاملة في ذهنه للحياة في المكان والزمان المعينين، وإن لم يعش ذلك الموقف، ويرسم طريق الحياة مليئًا بالألوان، فكأنّه يؤكد حقيقة أن لا حياة دون ألوان، ولا تخفى أهمية الجمال اللوني في المقاطع السردية ودوره في التنوع الدلالي.

---

[1] الثلج الأسود، م. س، ص: 102.

[2] م. ن، ص: 208.

[3] اللغة واللون، م. س، ص: 79.

[4] قلج، سعد عبد الرحمن، جماليات اللون في السينما، بحث في الأساليب المختلفة لاستخدام اللون في الأفلام الروائية، مكتبة أطلس، دمشق، 1975م، ص: 173.

[5] الثلج الأسود، م. س، ص: 273.

وفي مقطع آخر حمل سعيد "الحقيبة وتوجَّه بها إلى رجل الأمن من البوابة الخضراء"[1]، بعد أن انتظر مدة طويلة من الزمن في مطار (ليناتي بميلانو)، فأصابه الملل والقلق؛ ولذلك كان الأخضر بمثابة الخلاص من معاناته والعودة إلى الحياة من جديد.

ووظّف المرسل في مقطع آخر الأخضر كناية عن الذكريات في قوله: "تظل ذكرى جميلة، تزرع الخضرة في جنبات وادي الذاكرة الذي يغلب عليه القحط؛ نتيجة القهر المتواتر عبر السنين"[2]، فهي ذكريات الشباب واندفاعه، ترتبط بالأمل، وتُزرع لتعيش مع الإنسان حتى وفاته.

اللون الأصفر

وظّف المرسل اللون الأصفر على نطاق ضيق، فقد ذُكر ثلاث مرات، جاء دالًّا على لفت النظر، مثل المقطع الآتي: " ترتدي قميصًا أصفر فاقعًا بدون أكمام، وطبعًا الجينز المهترئ وتنتعل صندلًا خفيفًا أبيض"[3]، و"علم النفس يعلمنا أنّ اللون الأصفر لون تستطيع العين أن تتركز عليه تركزًا تامًا"[4]، لذلك عندما قدمت (جانيت) إلى الأردن بحث سعيد عنها بين القادمين، فرآها فجأة ترتدي الأصفر المركز تركيزًا شديدًا؛ لتلفت الأنظار إلى جمالها، ومُزج معه الأزرق الذي أخذ "مدلول الحرية والانعتاق والتحرر من كل القيود"[5]، ثمّ أُضيف الأبيض ليوحي بالتفاؤل، بخاصة أنها في بداية إقامتها في عمّان.

كما استخدم المرسل اللون الأصفر كناية عن سكان شرق آسيا، "ويشمل المنغوليين والصينيين والكوريين واليابانيين والسياميين والبورمانيين وأهل التبت"[6]؛ لذلك "لم يتمالك سعيد نفسه من الإعجاب بهذا الياباني الشاطر، فإنّ من تعلم لغة قوم أمن شرهم، هكذا يحسن هذا الجنس الأصفر الرهيب الدخول إلى قلوب الناس"[7]، فقد أثار الياباني دهشة سعيد بقدرته على تعلم اللغة الإيطالية وإتقانها، ولطفه وسرعة دخوله إلى القلوب.

المرادفات اللونية

وظف المرسل بعض الكلمات التي تحمل مدلولًا لونيًّا، وعندما يذكرها يتبادر إلى ذهن المتلقي لون محدد دون غيره، وقد تراوحت دلالاتها اللونية بين الأسود والرمادي، مثلما نجده في المقطع التالي:" فرفعت يديها وطوقت عنقه بقوة، وغابا في قبلة طويلة، فجأة، سطع ضوء سيارة قادمة من الجهة الغربية، فانتفض سعيد، وأفلت من بين يديها... شعرت بنظرته في الظلام فبادلته النظرة، ثم ابتسمت في خجل"[8]، في الظلام تحتجب الحقيقة، وتصعب الرؤية، ويؤدي ذلك إلى التهيؤات، وتصعب معرفة الصواب، وقد يعجز الإنسان عن إدراك الأشياء على حقيقتها، فبعد ثمان وأربعين ساعة من قدومها إلى الأردن تُقيم (جانيت) علاقة غير شرعية مع متزوج، يريان أنّ هذه العلاقة

---

[1] م. ن، ص: 206.

[2] م. ن، ص: 147.

[3] م. ن، ص: 178.

[4] معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، م. س، ص: أ–ن.

[5] دلالات الألوان في شعر نزار قباني، م. س، ص: 130.

[6] معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، م. س، ص: 125.

[7] الثلج الأسود، م. س، ص: 209.

[8] م. ن، ص: 41.

©جميع الحقوق محفوظة، عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

حب، ولكنهما يحرصان على أن تبقى في الظلام، ويخافان عليها من النور، تقارب وتواصل في الظلام، وبعد وخوف في النور، مما يوحي أن الظلام (الأسود) في المقطع السردي هو رمز لتلك العلاقة غير الشرعية.

وجاءت الغيوم لتحمل دلالة الخير،"فجأة تلبّدت الغيوم في السماء، أبرقت ثم أرعدت، وجاء المطر، كأنه جدار من الماء لغزارته"[1]، وهنا أوحت الغيوم بدلالتها الخيرية المتعارف عليها، وفي مقطع آخر: "اكفهرّت الغيوم وبدأ المطر يتساقط، خفف من سرعته، وشغل المساحات، ثم اشتدّت الريح، وبدأت تدفع بالسيارة إلى جهة اليمين...غرزت عجلاتها اليمنى في الوحل، فانقلبت على جنبها الأيمن..."[2] ، تحمل الغيوم إليه الخير والحياة، وهي نعمة ينتظرها الإنسان بفارغ الصبر، ولكن أمطار الغيوم تكون سببًا في وقوع حادث للسيارة التي تقلهما، فيمكثان في المستشفى مدة من الزمن، ويكون الحادث سببًا في عودة جانيت إلى أمريكا، وإنهاء العلاقة التي تربطها بسعيد خارج إطار الأسرة، فكان الخير فيما يجلبه المطر، وفي الخلاص من تلك العلاقة.

وتدل العتمة على المجهول في قوله: "كان سعيد في هذه الفترة يعيش داخل سحابة بيضاء ناعمة، لا يدخلها البرد، ولا ينفذ إليها الحرّ ولا الضوء، ولا تصل إليها يد العتمة"[3]، يعيش سعيد الحلم، ولا بدّ له من نهاية، وهو يعبّر بذلك عن علاقته (بجانيت) التي تعيش في العتمة والظلام والمجهول؛ لذلك ظهر معلقًا في الفراغ، مما يوحي بحالة من عدم الاستقرار، وبالتالي لا وجود للهدوء أو الراحة، ولعله يشي بسرعة نهاية هذه العلاقة، مثل سرعة زوال السحابة البيضاء، وجاءت كلمات الأغنية الآتية: "يا ريت... أنت وأنا بالبيت: شي بيت أبعد بيت... مِنحي ورا حدود العتم والريح... والثلج نازل بالدني تجريح... يضيّع طريقك وما تعود تفل"[4]، لتتفق مع الدلالات السابقة، فيتمنى أن يحيا معها في عالم مجهول بعيدًا من الناس، وقد أخفى الثلج طرق العودة كلها، ولكن هذه الأمنية لا تتحقق في واقع الحال، وكأنّه يودعها بهذه الكلمات.

الخاتمة

يتضح مما سبق أن المرسل وظف اللّون في نصّه الروائي بدلالات متعددة، وفق السياق الذي ورد فيه، فنقل النص من المباشرة إلى تعدد الأبعاد، ولم يأتِ اللّون منفردًا في النص الروائي، بل متداخلًا مع غيره من الألوان، ولكنّها تتعاضد لتركيز الدلالة المنشودة وتقويتها، وكانت الألوان: الأحمر، والأسود، والأبيض، والأشقر الأكثر توظيفًا؛ بسبب دلالاتها المتعددة في النص الروائي، وبعدها النفسي والجمالي، وارتباطها بالجانب الفكري.

ومزج المرسل بين اللّون والحركة والصوت والملمس؛ لحمل الرؤية التي يسعى إلى إيصالها للمتلقي، كما وظف بعض المرادفات اللونية مثل: الظلام والغيوم والعتمة، وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- اهتمام المرسل بظاهرة الألوان بشكل ملفت لنظر، إذ ضمّن روايته ما يزيد عن خمسة وسبعين شاهداً لونياً مباشراً.

---

[1] م. ن، ص:142.

[2] م. ن، ص:283.

[3] م. ن، ص: 242.

[4] م. ن، ص: 272.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

- إنّ اللون في الرواية لا يملك دلالة مستقرة وثابتة، بل تتغير دلالته، وفق السياق الذي ورد فيه؛ لذلك كثرت دلالات الألوان وتنوعت، حتى إنّ اللون الواحد يعطي دلالات متنوعة وفق وروده في السياق، فاللون الأحمر على سبيل المثال، وهو أكثر الألوان توظيفًا، ورد كدليل على قوة الشخصية والقيادة، وامتلاك المال، وسعة النفوذ، ثم فستان فاقع الحمرة، لون بارز وقوي ومركز؛ ليلفت الأنظار ويجلب الانتباه إلى نمط الحياة الاستهلاكي الذي تحياه الشخصية، ثم يرد الأحمر للتعبير عن الغواية والشهوة الجنسية، وفي سياق آخر يعبر عن الحب والاحترام والتقدير.
- استطاع المرسل رسم صور لونية جمالية نابضة بالحياة، من خلال مزجه اللون مع الحركة في بعض لوحاته اللونية ذات قدرة هائلة من التأثير والنفاذ إلى ذهن المتلقي، مثل: وصفه للأرض والحياة خلال فصل الربيع في المناطق الواقعة على جانبي الطريق الصحراوي أثناء ذهاب سعيد إلى العقبة.

ينتقل بك المرسل بكل يسر وسهولة من خلال لوحاته اللونية بين ثقافات شعوب عديده (الشرق الأوسط، والأمريكي، والإيطالي)، فحضر الجينز الأزرق، والألوية الحمراء، ومفاهيم الحرية، والديمقراطية.

المصادر والمراجع

- أحمد؛ أحمد إبراهيم، وهارون، د.هجو الفاضل، تكنولوجيا التلوين، دار جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، الخرطوم، 2013م .
- أزوقة؛ محمد، الثلج الأسود، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2017م.
- الجرجاني؛ الشريف علي بن محمد السيد: "التعريفات"، تحقيق عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، 1991م.
- جواد؛ فاتن عبد الجبار، اللون لعبة سيميائية، بحث إجرائي في تشكيل المعنى الشعري، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010م.
- الحجمري؛ عبد الفتاح، عتبات النص البنية والدلالة، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، 1996م.
- حمدان؛ نذير، الضوء واللون في القرآن الكريم، الإعجاز الضوئي– اللوني، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1422هـ– 2002م.
- خلف؛ عصام، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر، القاهرة، مصر، 2003م.
- الخويسكي؛ زين، معجم الألوان في اللغة والأدب والعلم، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1992م.
- رياض؛ عبد الفتاح، التكوين في الفنون التشكيلية، ط2، دار النهضة العربية، القاهره، مصر، 1983م.
- الزواهرة؛ ظاهر محمد، اللون ودلالته في الشعر: الشعر الأردني أنموذجًا، دار حامد، عمان، الأردن،2007م.
- الشتيوي؛ صالح، رؤى فنية، قراءات في الأدب العباسي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005م.
- شنوان؛ يونس، اللون في شعر ابن زيدون، منشورات جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، إربد، الأردن، 1999م.

©جميع الحقوق محفوظة، عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

- صالح؛ قاسم حسين، سايكلوجية إدراك اللون والشكل، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1982م.
- الصحناوي؛ هدى، فضاءات اللون في الشعر، الشعر السوري أنموذجًا، دار الحصاد، دمشق، سورية، 2003م.
- طالو؛ محيي الدين، الرسم واللون، مكتبة أطلس، دمشق، 1961م.
- عبد الوهاب،؛شكري، الإضاءة المسرحية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1985م.
- عبيد؛ كلود، الألوان، دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2013م.
- عمر؛ أحمد مختار:
  - علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1418هـ، 1998م.
  - اللّغة واللون، ط2، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1997م.
- قلج؛ سعد عبد الرحمن، جماليات اللون في السينما، بحث في الأساليب المختلفة لاستخدام اللون في الأفلام الروائية، مكتبة أطلس، دمشق، 1975م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1427هـ – 2006م.

الدوريات

- دبس وزيت؛ حسام، ومعاد؛ عبد الرزاق، البعد الوظيفي والجمالي للألوان في التصميم الداخلي المعاصر، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، العدد2، المجلد24، 2008م.
- الدّقاق؛ عمر، الألوان والناس، العربي، العدد 302، يناير– كانون الثاني، الكويت، 1984م.

الرسائل الجامعية

- حمدان؛ أحمد عبد الله محمد، دلالات الألوان في شعر نزار قباني، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2008م

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021